المقدمة التفسيرية في المنهج اللغوي للقرآن الكريم
دراسة وتحليل

د. علي فرحان جواد
جامعة المثنى /كلية التربية
قسم اللغة العربية

الملخص:

حفلت المكتبة العربية بكتب متعددة للتفسير القرآني ترجع لعهود مختلفة ، ولمناهج متعددة، ونجد فيها اختلاف الآراء والتوجيهات لذلك النص فضلاً عن تباينها في مواقف عدة (كآيات الأحكام وآيات العقيدة وغيرهما)، ويرجع ذلك إلى المفسرين أنفسهم لا إلى النص ، وهو ما يمكن أن نطلق علية اختلاف القراءة الذي أدى إلى تعدد القراءات ، ومن تلك القراءات : قراءة القرآن الكريم على وفق المنهج اللغوي في التفسير ، وقد جاء النص بوصفه خطاباً مستنداً في تأسيسه على معايير عدة ، ومنها: النص على عربية القرآن الكريم، في الرجوع إلى لغة العرب في التفسير القرآني ؛ لأن الأساس الذي أستُند إليه في الكشف عن المعنى القصدي هو (الإعجاز القرآني) ، والاطلاع على هذه المسألة عدَّ من شروط المفسر ؛ لأن على المفسر أن يدرس القرآن ويفسره إسلامياً ، أي: في ضمن إطار إسلامي في التفكير ، ومن جهة أخرى نجد أن المفسرين تناولوا القرآن الكريم على أنه كلام دال على معنى، فظهرت اتجاهات ثلاثة: (الاتجاه التفسيري) ، و(الاتجاه التأويلي) ، و(اتجاه المعنى: اتجاه الدلالة الوظيفية) ، واشتُرط :أن يمتلك المفسر علم اللسان ، الذي اشتُمل على علمين يُعدان شرطان واجب توافرهما لمن يريد أن يمارس قراءة النص القرآني قراءة صحيحة، وهما : علم اللغة ، وعلم الإعراب ، ويتحقق في علم اللغة غرضان، الأول: فهم العلاقة التي تربط الدال بالمدلول في الصورة الذهنية في الخارج ، أي فهم مدلولات الألفاظ ومعانيها وما تحيل إليه من حقائق في اللغة نفسها ويؤكد هذا الرجوع إلى كتب المعجمات لتحقيق الملكة التي تعين على التفسير المعجمي اللغوي في اللغة العربية خارجاً عن القرآن الكريم ، ولا يتم ذلك إلا من الاطلاع على لسان العرب في العلوم كافة ، وعلم الأعراب العلم الأساس في مسألة تحقق شريطة الاطلاع، وهذا المستوى وحده لا يجدي نفعاً ما لم تلازمه ملكة أخرى وهي ملكة الفهم ليصل المفسر إلى مرحلة الاجتهاد في النص، وقد بُنيت المقدمة التفسيرية على التفريق بين (المعرفة) و(ملكة الفهم) ، ومع ذلك لا بد من اختيار أداة للمفسر في التوجيه والكشف عن

المعنى القرآني يمكن تسميتها بـ(المنهج البياني) في مقدمة التفسير اللغوية، ولتحقيق هدفه ينبغي توافر وسائل تعين على تحديد دلالة النص المستكشَف وهي : علوم من خارج النص تعين على بيانه كأسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وعلوم من داخل النص كالقراءات القرآنية : وعلم أصول الفقه ؛ لأنها تسعى إلى الوقوف على المعنى الذي دُرس من جهتين : دلالة المنطوق ودلالة المفهوم ، وكان للفكر(الايديولوجي) نصيب في تفسير النصوص، وهو يقابل الهرمنيوطيقا المصطلح القديم الذي بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس) ، في حين أن التفسير علم له معاييره وشروطه وأسسه، يرتبط بالفرد المسلم ، فهو دائم بدوامه، ويمكن القول أن المسألة ترتبط بين النظر إلى (القرآن الكريم) والنظر إلى (الكتاب المقدس)، أكثر مما ترتبط بين المصطلحين نفسيهما.

المقدمة:

يبدو أن المكتبة العربية لم تشهد من قبل تفسير كتاب وشرحه مثل ما كان للقرآن الكريم الذي يمثل كتاب الأمة ومنهاجها الذي دارت حوله الثقافة العربية الإسلامية ، إذ حفلت المكتبة العربية بكتب متعددة للتفسير القرآني ترجع إلى عهود مختلفة ، وإلى مناهج متعددة، ونجد في هذه الكثرة الكثيرة اختلاف الآراء والتوجيهات لذلك النص فضلاً عن تباينها في مواقف عدة (كآيات الأحكام وآيات العقيدة وغيرهما)، ذلك النص الإلهي الأوحد بين ظهراني البشرية الذي لا مثيل له ، ومما لا شك فيه أن اختلاف التفسير يرجع إلى المفسرين أنفسهم لا إلى النص ، وهو مما يمكن أن نطلق علية اختلاف القراءة (لذلك النص الخصب) الذي أدى إلى تعدد القراءات فضلاًً عن إعادة القراءة في بعض المذاهب، ومن تلك القراءات : قراءة القرآن الكريم على وفق المنهج اللغوي في التفسير سواء أكان التفسير نحوياً كـ(معاني القرآن للكسائي (ت١٨٩هـ) ، ومعاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٠هـ) ، ومعاني القرآن للأخفش (ت٢١٥هـ) ومعاني القرآن وأعرابه للزجاج (ت٣١١هـ) ،ومعاني القرآن للنحاس (ت٣٣٨هـ) ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (٥٤٨هـ)، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري (ت ٦١٦هـ) ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ))، أم بلاغياً كـ(تفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ت٦٨٥هـ))، أم معجمياًكـ(تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني (ت٤٢٥) ، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ))، وقد زخرت هذه المظان بآراء وتوجيهات طريفة استقيت من تلك القراءات.

(١) النص المفسَّر بوصفه خطاباً قرآنياً

تناول المفسرون في مقدماتهم للتفسير اللغوي النص الذي يستندون إليه في التفسير وهو القرآن الكريم، فبينوا ما ينماز به من النصوص الأخرى ، فتارة هو كلام ولكنه ليس بكلام بشر ، وتارة أخرى إن هذا النص الذي يدرسونه كلام عربي يستند إلى كلام العرب ولكنه يفوق القواعد التي ألفوها فهو كلام معجز، لذلك أن هذا النص كان ذا طبيعة خاصة وسمات خاصة ومواصفات خاصة تختلف – بأبسط مفهوم– عن كلام البشر ؛ ومن ثم لابد أن تكون الأداة المستعملة في التفسير والبيان والكشف أداة خاصة.

(١-١)

أكدت المقدمة التفسيرية على الرجوع إلى لغة العرب في التفسير القرآني ، متخذةً مما ورد في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف دليلاً على ذلك، قال تعالى: { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ [النحل : ١٠٣] } ، وقال: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ [الشعراء : ١٩٥] } ، وقال : { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [يوسف : ٢] }، وقال: { قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [الزمر : ٢٨] }[١]، وقال:{ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ [الأحقاف: ١٢] } ، ومن الحديث النبوي الشريف ما ورد احتجاجاً على الرجوع إلى العربية في تفسير الذكر الحكيم قول الرسول الأكرم –صلى الله عليه وآله وسلم– : ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه، فإن الله يحب أن يعرب))[٢] ، وروى ابن عباس أن رجلاً سأل النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– فقال: (أي علم القرآن أفضل؟) ، فقال النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– : ((عربيته فالتمسوها في الشعر))[٣] ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذا))[٤]، فقد احتج بهذا الدليل (دليل العربية) على ((أن معانيه إنما وردت من اللغة العربية))[٥]، فضلاً عن أن العرب يومئذ نزل القرآن بين ظهرانيهم وبلغتهم لم يجدوا حاجة في السؤال عما ورد فيه إلا نادراً ، وهذا ما نجده في قول أبي عبيدة : ((فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسُن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص. وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني))[٦]، إنما كانت الأمم التي تلت الأمة السالفة أشد حاجة في تفسير كتاب الله –عز وجل– إلى الرجوع إلى العربية، وهذا ما يفسر حركة التأليف في النحو واللغة وعلوم العربية كافة ؛ لغرض تقنينها وتنظيمها وإرساء دعائمها لتمثل علوماً يعتد بها ، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الرجوع إلى تلك العلوم ليعول عليها في تفسير كتاب الله ، ولعل هذا ما يفسر قول الرسول الأكرم – صلى الله عليه وآله– :((عربيته[أي علم القرآن أفضل؟] فالتمسوها في الشعر))[٧]،فكأن علوم العربية مثلت الدعامة الخارجية للقرآن الكريم، فأي طعن بها أو إنكارها لها –كما حدث من إنكار المستشرقين لقضية الإعراب، وإنكار الشعر الجاهلي وتبعهم الدكتور

طه حسين – يمثل طعناً في القرآن الكريم، وفي هذا الباب ليس من الغرابة أن نجد أن ابن جني (ت٣٩٢هـ) يعمم مفهوم النحو في باب القول على النحو بأنه((انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها))[٨]؛ إذ اعتمد في ذلك على المفهوم العام للعربية فمدّ الدلالة المعجمية للنحو لتعميمها إلى دلالة اصطلاحية، فقال: ((وهو في الأصل : مصدر شائع، أي: نحوت نحواً، كقولك قصدت قصداً، ثم خُصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء، أي : عرفته ، ثم خُصَّ به علم الشريعة من التحليل والتحريم ، وكما أن بيت الله خُصَّ به الكعبة ، وإن كانت البيوت كلها لله))[٩]، وقلَّ أن نجد مثلها عند غير ابن جني، هذا من جهة ومن جهة آخرى أن الاحتجاج بعربية القرآن الكريم في المقدمة التفسيرية قد أمتد عن قضية أخرى شغلت العلماء ، فكان لها الأثر الكبير في توجيه المعنى وتفسيره في المقدمة التفسيرية في كتب التفسير اللغوي، وأقصد بها قضية إعجاز القرآن.

(١-٢)

وقف المفسرون في مقدماتهم اللغوية عند مسألةٍ عدت منطلقاً في الدرس التفسيري ، أو هي الأساس الذي أستُند إليه في الكشف عن المعنى القصدي للذكر الحكيم وتبين الخصوصية في النص وهي مسألة (الإعجاز القرآني) التي ارتبطت بعربية القرآن الكريم والإحالة إلى النص العربي، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): (([في صفة القرآن الكريم] ظلّ معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان))[١٠]، فكان النظر في هذه المسألة من الشروط الواجب توافرها عند المفسر، لتعد مقدمة من المقدمات التي لابد أن يطلع عليها المفسر،واشتُرط أن يكون المفسر عالماً((بكون القرآن معجزا خارقا للعادة، والاستدلال به على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والكلام في وجه إعجازه، وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة، أو ما له من النظم المخصوص، والأسلوب البديع، والصرفة...))[١١] ، وهذا الاقتباس (بوصفه إنموذجاً) يشير إلى منهج المفسرين في دراستهم لهذه المسألة، وفيه أن الإعجاز دليل –من الأدلة– على صدق النبوة ، إذ لابد لكل نبي من معجزة بحسب ما اشتُهر في ذلك العصر ، فلما اشتهر عصر فرعون بالسحر كانت معجزة نبي الله موسى العصا ، ولما اشتهر عصر نبي الله عيسى الطب – إلى زماننا هذا– كانت معجزته إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأعمى والأبرص ، ولما وصل العرب إلى قمة من قمم الفصاحة والبيان كانت معجزة الرسول الأكرم –صلى الله عليه وآله– القرآن الكريم ، ومما لا يخفى أن القرآن معجزة خالدة على خلاف المعجزات الأخر في أوقاتها ، ولاسيما أن الإسلام آخر الديانات وخاتمتها ، وأن الرسول الأكرم –صلى الله عليه وآله– آخر الرسل وخاتم الأنبياء ، وأن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية

الإلهية بين ظهرانينا اليوم فلا نجد كتاباً سماوياً عند البشر غير القرآن ، قال الراغب(ت٥٠٤): ((إن الله تعالى كما جعل النبوة بنبوة نبينا مختتمة، وجعل شرائعهم بشريعته من وجه منتسخة، ومن وجه مكملة متممة كما قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً [المائدة : ٣] } ، جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه))[١٢]، والاطلاع على هذه المسألة من شروط المفسر ؛ لأن على المفسر أن يدرس القرآن ويفسره بذهنية (إسلامية) أي: ضمن الإطار الإسلامي للتفكير ، فيقيم بحوثه دائماً على أساس أن القرآن كتاب الهي ، أُنزل للهداية وبناء الإنسانية بأفضل طريقة ممكنة، وحين يستعمل المفسر في دراسة القرآن المقاييس نفسها التي يدرس على ضوئها ، أي كتاب أو أي نتاج بشري فهو يقع نتيجة لذلك في أخطاء كبيرة واستنتاجات خاطئة؛ ((لأن المفهوم الذي يكوّنه المفسر عن القرآن ككل يشكل القاعدة الأساسية لفهم تفصيلاته ، ودرس مختلف جوانبه ، فلابد أن يُبنى التفسير على قاعدة سليمة ومفهوم صحيح عن القرآن، يتفق مع الإطار الإسلامي للتفكير ، لكي يتجه اتجاها صحيحاً في الشرح والتحليل...))[١٣].

ويشير نص مجمع البيان السالف الذكر –بوصفه إنموذجا– إلى ارتباط مفهوم الإعجاز بالتحدي، قال الزمخشري : ((أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر من سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عددا من رمال الدهناء))[١٤]، وهي فكرة شائعة في المقدمة اللغوية التفسيرية ترتبط بالنص ، فنجد البيضاوي(ت٦٨٥هـ) –أيضاً– يقول: ((فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيراً))[١٥]، وذلك أن اختلاف الإعجاز عن التحدي أن الأول يشتمل على أن القرآن آية للرسول الكريم – صلى الله عليه وآله– وبينة له على صدق الرسالة وعلى صدق نبوته وعدت أمية الرسول دليلاً على أن القرآن الكريم كلام الله ، وأما التحدي فيشتمل على مصدر الذكر الحكيم وعلى قوة المتحدَّى – بفتح الدال–؛ لأن العرب وصلوا إلى مستوى عالٍ من الفصاحة وارتقوا أرفع منزلة في البيان فكان التحدي بمثل القرآن، أو بسورة من مثله؛ لأنهم كانوا أقوياء في البيان والفصاحة والبلاغة، والمتحدي لا يتحدى إلا خصما قوياً ولو تحدى من هو ضعيف وعاجز لسخر منه الآخرون فـ((كم سيسخر الناس من بطل في الملاكمة أو المصارعة ، إذا تحدى غلاما صغيرا لم يبلغ العاشرة من عمره ، ودعاه لمنازلته في الحلبة ، وكم سيسخر الناس من بطل في الجري والركض ، إذا تحدى مشلولاً أو مقعدا أو أعمى ، ودعاه إلى المباراة والسباق ...كان تحديهم إذن بالبيان والفصاحة، لأنهم كانوا أقوياء فيهما))[١٦]، ولذلك كان عجزهم عن التحدي ، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن أو سورة منه، إثباتاً لإعجاز القرآن ، ودليلاً واضحا على مصدره الرباني الكريم[١٧]، فكأن الإعجاز للناس كافة ، والتحدي

يختص بالمنكرين والمتشككين وأهل الكفر فأعجزهم عن المعارضة كما في قوله تعالى : {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٢٣] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة : ٢٣-٢٤]}، قال سيد قطب :((وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرروه ، هو بذاته معجزة ، لا سبيل إلى المماراة فيها ، ولقد كان المجال أمامهم مفتوحا ، فلو أنهم جاءوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن ، ولكن هذا لم يقع ولن يقع ...))[١٨].

ولما كان موضوع التحدي والإعجاز هو : البيان والفصاحة والبلاغة ، فقد كانت عناية المقدمة التفسيرية بها عناية فائقة غير منكرة لوجوه الإعجاز الأخرى كالإعجاز الموضوعي والإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي والإعجاز النفسي والإعجاز التشريعي وربما حتى الإعجاز العددي وإن لم يشر إلى هذه الوجوه – في الأغلب– صراحة، ، لان اللغة بنحو عام هي الأداة التي تنقل الفكر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن المفسرين تعاملوا مع النص القرآني على أنه ((كلام)) يختلف عن كلام البشر وبه حاجة إلى بيانٍ لمعانيه ، وشرحٍ لمقاصده ، وذكرٍ لدلالاته ، فكأنهم بذلك قالوا بوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، والدليل على ذلك – مع ما ذكر– أن المقدمة التفسيرية حددت أسس منهج تناول النص بجانبين : فقيل ((لا يتصدى ... أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنها أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله))[١٩] ، وذلك لأن قِوام النص المفسَّر يستند إلى تفوقه على متفوقين في أساليب البلاغة والفصاحة ، وعلى متمكنين من اللغة نثراً وشعراً[٢٠]، وعلى من امتلكوا فنون القول من مجاز وكناية واستعارة وتشبيه وتمثيل، وان الإعجاز يكمن في أسلوب القرآن وبيانه وبلاغته وفصاحته ، فهو ((كامن في صميم النسق القرآني ذاته))[٢١]، وهنا تظهر مسألة الصرفة التي قال بها طائفة من المعتزلة كإبراهيم بن سيار النظام الذي نقل عنه الرازي : ((...والعرب إنما لم يعارضوه ؛ أن الله صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به...))[٢٢]، وهي عند الرماني من وجوه الإعجاز ((وأما الصرفة ، فهي صرف الهمم عن المعارضة ، وذلك خارج عن العادة ، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة ، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز))[٢٣]، وكان لها منكرون كُثر ونقضها العلماء كالزركشي في البرهان حين ردها بعدة حجج منه إن ((القول بالصرفة ينفي الإعجاز عن القرآن ، ويجعله لله ، فالمعجز هو الله وليس القرآن ؛ لأن الله سلبهم القدرة على الإتيان بمثله ، وهذا قول يناقض إجماع المسلمين ، ولا يتفق مع المعنى المفهوم مع "إعجاز القرآن"))[٢٤]، بل كل أصحاب مقدمة التفسير اللغوي هم ممن أنكروا القول بالصرفة.

(١-٣)

ولما كان القرآن كلاماً إلهياً فقد احتيج إلى بيان مقاصده وتوضيحٍ دلالاته ، فأخذ كلٌّ بما يوائم غرضه ، وبما يوافق اتجاهه وبحسب الزاوية التي ينظر من خلالها إلى الذكر الحكيم، فتناوله الأصوليون على أنه مصدر من مصادر التشريع في علم آيات الأحكام ، وتناوله المتكلمون على أنه دليل على النبوة في علم إعجاز القرآن ، وتناوله النحويون والبلاغيون على أنه نص عربي جارٍ على وفق اللغة العربية في علوم : إعراب القرآن ، والبلاغة القرآنية في النحو والبلاغة، وتناوله أهل الوقائع والسير على أنه يرتبط بوقائع معينة في عهد النبي –صلى الله ليه وآله–في علم أسباب النزول، وتناوله علماء الرسم والكتابة على أنه لفظ مكتوب في علم رسم القرآن ، وتناوله القراء على أنه كلام مقروء في علم القراءات القرآنية والتجويد[٢٥] ، وغير ذلك ممن تناولوه، فتشترك تلك الدراسات في اتخاذ القرآن الكريم موضوعاً لدراسته وبيان مقاصده ، وتختلف في زاوية النظر إليه.

ومن ذلك المفسرون الذي يتناولون القرآن الكريم على أنه كلام دال على معنى في علم التفسير[٢٦]، فتكون تلك العلوم –العربية وغيرها– مجالاً لدراستهم ، فيتوسلون(يتخذونها وسيلة) بها لبيان المقاصد الإلهية ، ويتخذون من علوم العربية الوسيلة الأظهر في التفسير اللغوي أكثر من غيرها من المجالات القرآنية الأخرى.

ومما يلحظ في منهج التفسير عامة واللغوي خاصة في بيان المقاصد، أمران:

- أحدهما : أنهم تناولوا القرآن الكريم على أنه كلام.
- والآخر : أن هذا الكلام دال على معنى فكان به حاجة إلى بيان وكشف وتوضيح.

إن وصف القرآن وتناوله على أنه كلام يختلف عن مفهوم اللغة ؛ لأن اللغة بحسب ما ذكر ابن جني :((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[٢٧]، أما الكلام فهو تطبيق لتلك الأصوات بكلمات مفهمة ، للتعبير بأسلوب خاص عن معنى يتصف بالفردية في مقابل الـ(قوم)، وغرض القرآن أنه كتاب هداية ورشاد للبشرية، وبذلك تتحقق الفردية في إفادته من المنظومة اللغوية العربية العامة بأسلوب فردي وخصائص ينماز بها القرآن من غيره ، وإلى هذا ذهب الدكتور تمام حسان في التفريق بين اللغة والكلام ، حين قال : ((الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل ، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة، والكلام بحسب السمع نطقا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل والكلام ، فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة ، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها))[٢٨]، فكان هذا الكلام دالاً على معنى وبه حاجة إلى بيان مقاصده .

فنجد- من المسألة الأخرى- أن المفسرين اللغويين اختلفوا في بيان المقاصد الإلهية في الكتاب العزيز بحسب ما جاء في مقدماتهم التفسيرية[٢٩] على ثلاثة اتجاهات:

- الاتجاه الأول :الاتجاه التفسيري
- والاتجاه الثاني: الاتجاه التأويلي
- والاتجاه الثالث : اتجاه المعنى(اتجاه الدلالة الوظيفية)

فالاتجاه الأول جعل الدلالة المعجمية للفظ دلالة إصلاحية للوصول إلى مراده، فدل لفظ التفسير على البيان[٣٠] ؛ لأن أصل الكلمة يدل((على بيان شيء وإيضاحه))[٣١]، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[٣٢]، ومما يلحظ في أقوال العلماء الأعلام ثمة كشف وبيان لا يتحققان ما لم يكن معنى خفي ، فإذا كان المعنى واضحاً وغير خفي فسوف لن يُتبين أكثر من ذلك وليس فيه كشف عن معنى عميق، وكأن الوضوح يُعالج في دلالة الألفاظ على معانيها ، والتراكيب في مدلولاتها اللغوية ليس إلا ، وهذا بحسب قولهم ليس بتفسير ، إنما التفسير الإفادة من تلك المعالجة للوصول إلى خفاء المعنى وإلى بنيته العميقة، فيمر التفسير بمرحلتين : الأولى تفسير للفظ في بيان مفاهيمه، والأخرى: تفسير للمعنى في تحديد المصداق الخارجي الذي ينطبق عليه[٣٣]، فيكون التفسير معنى إضافياً زائداً على المعنى الواضح.

وقد سارت على هذا الاتجاه الكثير من كتب التفسير اللغوي مما يظهر من عنواناتها، وتسمياتها، كـ(تفسير غريب القرآن لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، مفردات ألفاظ القرآن(ت٥٠٤)،مجمع البيان(٥٤٨هـ) ، وتفسير البحر المحيط (ت٧٤٥هـ)، التبيان في اعراب القرآن [املاء ما من به الرحمن](ت ٦١٦هـ)

وفي الاتجاه الثاني : الاتجاه التأويلي ، نقف على الاختلاف في الدلالة المعجمية للفظ الذي كان له الأثر في اختلاف الدلالة الاصطلاحية فضلاً عن اختلاف النظرة إلى التأويل في التراث العربي الإسلامي، فاللفظ يدل على :

- الترادف بين التأويل والتفسير :قال الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ):((وأول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره))[٣٤]،ولعل هذا المعنى ما يلحظ في دلالة اللفظ عند الأوائل من علمائنا، فقد سئل ((أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والتفسير بمعنى واحد))[٣٥].
- يدل على الرجوع: قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ):((الأول وهو مبتدأ الشيء))[٣٦]، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): ((الأول : الرجوع . آل الشيء يؤول أولا ومآلا : رجع . وأول إليه الشيء : رجعه . وألت عن الشيء))[٣٧]، وجاء في حديث الرسول الأكرم – صلى الله عليه وآله- : ((من صام الدهر فلا صام ولا آل))[٣٨] ، أي: لا رجع إلى خير.

- يدل على المصير والمآل: ، و((تأويل الكلام ... عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ)[39]. يقول ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم)) [40]، وذهب ابن قيم الجوزية (تهـ) إلى أن ((التأويل تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه فالتأويل التصيير وأولته تأويلا إذا صيرته إليه فآل وتأول وهو مطاوع أولته))[41] ، وبهذا الدلالة ورد عند الأعشى بقوله:[42]

على أنّها كانتْ تأوَّل حُبَّها تأوُّلَ ربعيّ السَّقابِ فأصبحا

والفرق بين التأويل والتفسير في استعمال المفسرين يقوم على أحد ثلاثة أشياء: إما التمييز بينهما في طبيعة المجال المفسَّر بأن يكون التأويل خاصاً في الكلام الذي له معنى ظاهر والتفسير عاماً في بيان مدلول اللفظ مطلقاً أعم من أن يكون هذا المدلول على خلاف المعنى الظاهر أو لا، وإما التمييز بينهما في نوع الحكم في أن التأويل ترجيح أحد المحتملات دونما قطع والتفسير القطع بأن مراد الله كذا، وإما التمييز بينهما في طبيعة الدليل في أن التأويل بيان اللفظ اعتماداً على دليل عقلي والتفسير بيان مدلول اللفظ اعتماداً على دليل شرعي[43]، فكأننا نلمس أن الفرق بين التفسير والتأويل هو فرق بين (التفسير بالمأثور) و(التفسير بالرأي) في الفكر الإسلامي ، إلا أن ما يلحظ أن المقدمة في التفسير اللغوي اعتمدت طبيعة الدليل في التناول والدراسة ، فنجد من المفسرين من وسم تفسيره بالتأويل كـ(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، و(تفسير البيضاوي(ت٦٨٥هـ) المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، وهذه مسألة طبيعية ؛لأن الفكر الاعتزالي يؤكد الجانب العقلي فعُمِد إلى التأويل وإلى الدليل العقلي ، في حين أن الاعتماد على أصل ما جاء به الشرع هو ما ينماز به الأشاعرة من غيرهم، فاعتُمد على الدليل الشرعي في التوجيه والتفسير.

وأما الاتجاه الثالث : اتجاه المعنى(اتجاه الدلالة الوظيفية)، فنجده واضحاً في عنوانات طائفة من كتب التفسير اللغوي ، وهي ما سميت بكتب معاني القرآن كـ(معاني القرآن للكسائي(ت١٨٩هـ) ، ومعاني القرآن للفراء(ت٢٠٧هـ)،ومجاز القرآن لأبي عبيدة(٢١٠هـ)،ومعاني القرآن للأخفش (ت٢١٥هـ) ، ومعاني القرآن للزجاج(ت٣١١هـ) ، ومعاني القرآن للنحاس(ت٣٣٨هـ) ويستند لفظ (المعنى) إلى دلالة القصد ، يقال :((عَنَيت فلاناً عَنْياً ، أي : قصدته ، ومن تَعْنِي بقولك؟، أي : من تقصد وعناني أمرك أي قصدني ...))[44] ، و((معنى كل كلام ... مقصده)) [45]، ومنه الحديث:((أتاه جبريل فقال بسم الله أرقيك من كل داء يعنيك ، أي: يقصدك))[46]، وعنوان الكتاب : مشتق – فيما ذكروا– من المعنى، والعنوان : سمة الكتاب[47] ، **فدلت هذه** الطائفة من كتب التفسير اللغوي على أنها تبحث في القصد الإلهي في كتاب الله العزيز ، تبحث في معناه ، أي فيما يدل عليه (كلام) البارئ –عز وجل–، لا في تناول دلالات اللغة العربية، بوصفها لغة ، بل يُتناول الذكر الحكيم بوصفه كلاماً ذا قصد هداية وإرشاد ؛ لأن العلم الذي يبحث في دلالات اللغة العربية هو: علم الدلالة الذي يبحث في تركب العلامة اللغوية[48] من دال ومدلول فمع أن مفهوم المعنى عند المفسرين اللغويين اللغويين يعني المدلول إلا أننا نجد وبلحظ سريع أنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى العلاقة بين الدال والمدلول فدرسوا العلاقات اللغوية وهو ما يدخل في صلب الدرس الدلالي ، والأكثر من ذلك أنهم في محاولة

إيجاد المعنى تناولوا الظروف التي يُستندُ إليها في التوجيه اللغوي وبذلك قد وسعوا دائرة فهم المعنى لنجد أن هؤلاء العلماء قد تناولون النص القرآني وهو كلام إلهي يرتبط بخصوصية خاصة وبعلم آخر غير علم الدلالة هو علم الخطاب ، ويرتبط ارتباطا وثيقاً بمفسره الذي عُدّ ركنا أساسياً في التفسير، فعوِّل عليه كثيراً في مقدمة التفسير اللغوي.

(٢) المفسِّر بوصفه مخاطَباً وعلاقته بالنص

(٢-١)

ذكر الطوسي (٥٤٨هـ) رواية عن عبد الله بن عباس أنه قسم وجوه التفسير أربعة أقسام[٤٩]:

- تفسير لا يعذر أحد بجهالته : وهو الشرائع التي في القرآن، وجمل دلائل التوحيد.
- وتفسير تعرفه العرب بكلامها: فهو حقائق اللغة، وموضوع كلامهم.
- وتفسير يعلمه العلماء: وهو تأويل المتشابه، وفروع الأحكام.
- وتفسير لا يعرفه إلا الله عز وجل: وهو ما يجري مجرى الغيوب، وقيام الساعة.

والذي يبدو لي في هذا الموضع ، أن القسم الثالث وهم العلماء يعلمون التفسير وما خفي على عامة الناس الذي عُبر عنه بـ(التأويل)، وأما المتشابه فلم يصل إلينا إلى الآن من جزم بمعرفته من علماء التفسير ممن طبعت كتبهم، فهو داخل في علم الله مع القسم الرابع، في حين أن القسم الثاني هو تفسير للفظ وللتركيب من جهة اللغة فقط ، ومهما يكن من شيء فإننا نلحظ المنزلة التي يحظى بها المفسِّر في مقابل نص كلامي يتصف بمواصفات خاصة ، فلابد من أن يكون له ثمة شروط تؤهله ليكون بمستوى ذلك النص الفائق.

ومن تلك الشروط :أن يمتلك علم اللسان ، قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ):((فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ، ولا يمتطي منه صهوته ، إلا من كان متبحراً في علم اللسان ، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان...))[٥٠]، ويشتمل علم اللسان في مقدمة التفسير اللغوي على علمين يُعدان من الشروط الواجب توافرهما لمن يريد أن يمارس قراءة(أو تفسير بحسب المقدمة التفسيرية)النص القرآني قراءة صحيحة، وهما :

-علم اللغة

-وعلم الإعراب

وموضوع علم اللغة –عندهم في المقدمة التفسيرية – يعنى بالدرس المعجمي فضلاً عن أثر الدلالة الصرفية في بيان الدلالة المعجمية ، قال أبو حيان : (([العلوم التي يحتاج إليها المفسر:]علم اللغة أسماً وفعلاً وحرفاً ، [و]الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم ، أما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة، وأكثر الموضوعات في علم اللغة كتاب [المخصص لـ](ابن سيده)...[و كتاب تهذيب

اللغة](الأزهري)...[و](الصحاح)للجوهري ، و(البارع)لأبي على القالي، و (مجمع البحرين) للصاغاني))[٥١]، لأن علم العربية من العلوم التي لا غنى عنها لمن أراد أن يطلع على القرآن الكريم وهو من مقدماته اللفظية قال الراغب(ت٥٠٤) : ((إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه،))[٥٢]، فنجدهم قد أشاروا إلى استيفائهم لهذا العلم ، قال الطوسي: ((وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب، وحسن النظم والترتيب، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه، ويحوي نصوصه وعيونه...، ولغاته وغوامضه ومشكلاته، ومعانيه وجهاته...[وفي بيان منهجه] ثم أقدم في كل آية ...، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات،))[٥٣]، وقال أبو حيان في منهجه : ((أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة ... التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه))[٥٤]، وبذلك قد تحقق غرضان ، الأول: فهم العلاقة التي تربط الدال بالمدلول في الصورة الذهنية في الخارج ، أي فهم مدلولات الألفاظ ومعانيها وما تحيل إليه من حقائق في اللغة نفسها فلذلك أشاروا إلى الرجوع إلى كتب المعجمات ليحققوا الملكة التي تعين على التفسير المعجمي اللغوي في اللغة العربية خارجاً عن القرآن الكريم ، فيكون ذلك مدخلاً لتلبس تلك الدلالة وتلونها بظروف خاصة فتتكون لدى المفسر(أو قارئ النص) دلالة من نوع آخر وهي الدلالة القرآنية، لذلك نجد التأكيد على هذه المسألة في مقدمة التفسير اللغوي ، فنجدهم يقولون :((ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم ، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه ، فلذلك اختلفت افهامهم ، وتباينت أقوالهم))[٥٥] ، فهم يشيرون إلى بيان مدلول اللفظ خارج النص ، وإلى ملكة الفهم – وسيشار إليها في الشرط الآخر من شروط المفسِّر– في ممارسة القراءة للنص القرآني لبيان دلالته، فنجد كتباً ألفت في هذا النوع من التفسير وهي ما يمكن أن نسميها بكتب التفسير اللفظي كتفسير غريب القرآن لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، و مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت٥٠٤)، قال ابن قتيبة : ((وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين ، وأصحاب اللغة العالين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم ، ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة ، وأشبهها بقصة الآية))[٥٦]، وبينت هذه الطائفة من الكتب : الدلالة القرآنية لكل لفظ ،في ضوء هذا العلم من علوم اللسان والتفسير؛ لأن هذا العلم ((نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم،))[٥٧].

والعلم الآخر الذي أكدته المقدمة التفسيرية وهو من علوم اللسان التي يشترط توافره لمن يريد أن يمارس القراءة والتفسير في النص القرآني هو : علم الإعراب؛ إذ اشتُرط أن يكون((فارساً في علم الإعراب))[٥٨]، وقبل أن نتبين مفهوم (الفروسية) فيما أُشير إليه لا بد من بيان لمفهوم علم الإعراب في مقدمة التفسير اللغوي الذي عُدَّ شرطاً أساسياً في دراسة القرآن الكريم، فلأن معانيه وردت من اللغة العربية[٥٩] ، فكان الرجوع إلى علم الإعراب ضرورياً لفهمه إذ اشتمل عندهم على : لسان العرب ، وبيان الأدب ، والتراكيب النحوية[٦٠]، فضلاً عن تصريف الكلمة ، واشتقاقها ، والقراءات القرآنية[٦١]، والحذف والاختصار والإطالة ، والتقديم والتأخير ، وقد تفاخر المفسرون باشتمال تفاسيرهم على هذا الشرط ، فقال الطبرسي: ((أني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عدة، وللمقرئ بصيرة...))[٦٢]، ولعل كتابي تأويل مشكل القرآن ، والبرهان في علوم القرآن خير من شرح مفهوم (علم الإعراب) وبين مراده في الفكر التفسيري عند العرب.

(٢-٢)

إن لعلم العربية شأناً كبيراً لمن أراد أن يفسر كتاب الله العزيز ، ولا يتحقق ذلك إلا من النظر في كلام العرب وسننها، فنجد أن شرطاً من شروط المفسر في تأكيد المقدمة التفسيرية هو شرط (الاطلاع!) على لسان العرب في العلوم كافة ، وقال الزمخشري : ((من شروط المفسر المجتهد] أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا وردع إليه ورد ورد))[٦٣]، وعلم الإعراب العلم الأساس في مسألة تحقق شريطة الاطلاع ، قال أبو حيان : ((فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير ، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير ، أن يعتكف على كتاب (سيبويه) ، فهو في هذا الفن المعول عليه ، والمستند في حل المشكلات إليه))[٦٤] ؛ لأن المفسر في هذه الحال قد استوعب (المعرفة) في كلام العرب وأمكنه أن (يعرف) النص معرفة لغوية في ضوء كلام العرب وسنن كلامها وتتحقق – هذه المعرفة– من الاطلاع على علم العربية، وعلى لغة العرب ودراستها؛ للوصول إلى مستوى المعيارية والتقنين في تحديد مواطن الصواب والخطأ ، والخروج على القاعدة في النحو والصرف والمعجم ، وبيان ما يعضده القياس والسماع من كلامهم ، فضلاً عن الاطلاع على اللهجات العربية والتغيير الذي يطرأ على الألسنة، وهذا المستوى وحده لا يجدي نفعاً ما لم تلازمه ملكة أخرى وهي ملكة الفهم ليصل المفسر إلى مرحلة الاجتهاد في النص، وقضية التفريق بين (المعرفة) و(ملكة الفهم) بُنيت عليها المقدمة التفسيرية فتناقلها المفسرون بينهم في قولهم : ((إن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس ،...فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ،والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام

،وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ،والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ،والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه،واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه،لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق،ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق،إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما المعاني وعلم البيان))[٦٥]، ولا تتحقق هذه الملكة إلا بالممارسة وحفظ الشعر ((والتصرف في أساليب النظم والنثر ، والتقلب في أفانين الخطب والشعر))[٦٦]، وهذا الاطلاع والمعرفة لا يتوقف عليها بيان الصواب والخطأ فقط ، بل يجتهد في معرفة القصد المراد بيانه ، قال الزمخشري وهو يُنكر أن يكون التفسير بالنقل عن العلماء السابقين لاختلاف الآراء وتباينها، ويضرب لذلك مثالاً نفهم منه وجوب تحقق ملكة الفهم في قوله: ((وقد جرينا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا ، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه ... ونظير ما ذكره هذا المعاصر أنه لو تعلم أحدنا مثلاً لغة الترك إفراداً وتركيباً حتى صار يتكلم بتلك اللغة ، ويتصرف فيها نثراً ونظماً، ويعرض ما تعلمه على كلامهم فيجده مطابقاً للغتهم ، قد شارك فيها فصحاءهم ، ثم جاءه كتاب بلسان الترك ، فيحجم عن تدبره وعن فهم ما تضمنه من المعاني ، حتى يسأل عن ذلك (سنقراً) التركي (أو سنجراً) ، ترى مثل هذا يعد من العقلاء ،))[٦٧]، فإن المقدمة التفسيرية تؤكد على فهم النص القرآني في ضوء كلام العرب ، الذي جمع بين دفتي الكتب ككتاب سيبويه، وهو تأكيد على الممارسة اللغوية في السماع عنهم ، والاطلاع على نصوصهم ، وهذا الشرط يحقق لدى المفسر جانبين، المعرفة وملكة الفهم.

(٢-٣)

قرأنا فيما سلف النص الذي يشير إلى ارتباط (المعرفة) بـ(ملكة الفهم) عند المفسرين في مقدماتهم التفسيرية؛ ليتحقق في ذلك ما يصبوا المفسر إليه من الاطلاع على العربية(المعجم) ، وعلم الإعراب(القواعد الصرفية والنحوية)، والبحث عن أداة المفسر التي منها يستنطق النص، ويسبر أغواره فـ((لا يتصدى ... أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما المعاني وعلم البيان))[٦٨]، وكلٌّ رسم له طريق ، ولكن تلك الطرق تلتقي عند جادة واحدة وفي منهج خاص ، وهذا الطريق وذلك المنهج هو ما انمازت به كتب التفسير اللغوي من غيرها من المصنفات التفسيرية، فنجد النحاس –مثلاً– في معانيه يعتمد البيان والشرح في المسائل اللغوية[٦٩] ، وقصد إلى ((تفسير المعاني ، والغريب وأحكام القرآن...))[٧٠] ، ويذكر أقوال العلماء من أهل اللغة ، ويبين ((تصريف الكلمة واشتقاقها إن علمت ذلك وآتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه))[٧١] ؛ لأن ((أقوم طريق [كما قال أبو عبيدة] يسلك في الوقوف على معناه[القرآن]، ويتوصل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القرآن))[٧٢] ، لكي يتبينه المتعلم وينتفع به غيره ، و((لم

يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسُن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص))[٧٣]، ولعل الذي دعاهم إلى اتباع هذا المنهج ، وهو من أدوات غيرهم ، كأهل اللغة والبيان ، اشتراك كلا النصين (النص اللغوي والنص القرآني) بالمادة نفسها (اللغة العربية) ؛ لأن ما ((في القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، من الغريب، والمعاني))[٧٤]، فإذاً ان هذا المنهج هو أداة للمفسر اللغوي، ويمكن أن نلمس ملامحه في المعاني وعلم البيان عند الزمخشري وأبي حيان[٧٥]، وعلم الإعراب عند الطبرسي، قال: ((وأقول : إن الإعراب أجل علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كل بيان... . وإذا كان ظاهر القرآن طبقا لمعناه، فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه))[٧٦]، واستناداً لما سبق فإننا يمكن أن نسمي هذا المنهج بـ(المنهج البياني) في مقدمة التفسير اللغوية، وهذه الأداة عُدت شرطاً أساسياً لدى المفسر في التوجيه والكشف عن المعنى القرآني.

ومفهوم المنهج البياني في المقدمة التفسيرية لا يخرج عن فهم القدامى لما اشتُمل عليه من علمي المعاني والبيان، قال العلوي صاحب الطراز (ت٧٠٥هـ): ((ودلالة علم الإعراب إنما تكون من جهة الإسناد والتركيب ، ودلالة الألفاظ على علم البيان الذي هو الفصاحة ، وعلى علم المعاني الذي هو البلاغة ، أمر وراء ذلك ، مع كونه متوقفاً عليهما ؛ وهما أمران يخالفانه في مقصود الدلالة))[٧٧]، فقد كانت نظرة المفسرين تتفق مع ما جاء من أوائل البلاغيين مع لحظ أن مفهوم علم البيان هو الفصاحة، ومفهوم علم المعاني هو البلاغة بمعنييهما الواسع لهما ، وثمة ارتباط بين البلاغة والصناعة النحوية كما يرى الدكتور تمام حسان ((ولعل هذا الارتباط ...هو الذي جعل موضوعات علم المعاني تبدو كأنها نحو من نوع خاص ، يتناول من البحوث ما أهمله علم النحو))[٧٨]، في حين إن (المفهوم) الاصطلاحي للبيان كما يرى صاحب الإيضاح: ((علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة))[٧٩]، فلذلك نجد أن المفسرين قد تبعوا البلاغيين في (المفهوم العام) لهذين العلمين فلا يراد بهما ما قُنن في كتب المتأخرين من العلماء ، فإذا رأينا أحد العلماء من المفسرين أو من البلاغيين المتقدمين ينزع إلى هذا الفهم ، فلربما لا يصح أن نطلق عليه ما أطلقه أحد الباحثين من الأساتذة الأعلام بقوله :إن في كلامه((هذا خلطاً كبيراً بين مفاهيم فرق بينها ... فما كان ينبغي له أن يقع في مثل هذا الخلط))[٨٠]، وقد ذهبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن لوضع منهج خاص وسمته بالمنهج البياني ، وقد استقته من الأستاذ أمين الخولي ومن فكر المفسرين اللغويين[٨١] في مظانهم.

(٣) الظروف المحيطة بالخطاب القرآني

إن قارئاً بهذا المستوى أمام نص بمواصفات خاصة ، لا بد أن يقدم قراءة للنص في ضوء ظروف محددة تعتمد على أسس واضحة، حتى عُدت هذه الظروف علوماً قائمة بذاتها، وهي للمفسر لا تعدو – في

هذا النص– أكثر من كونها وسائل تعين على تحديد دلالة النص المستكشَف ، ويمكن أن نقسمها ؛لغرض الدراسة على قسمين: علوم خارج النص تعين على بيانه ، وعلوم من داخل النص.

(٣-١)

ثمة علوم من خارج النص تمثل مدخلاً للقرآن الكريم حرصت المقدمة التفسيرية اللغوية على بيانها ، وبغيرها لا يمكن الخوض في مضماره، ومنها:

المكي والمدني في نزول الآيات؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية ورشاد للبشرية ، فكان لابد أن تُراعى ظروف نزوله في أمة لم تتحرر بعد من قيد العبوديات: الفكرية والعقلية والنفسية ؛ لكي تتحقق المقاصد التي نزل من أجلها الذكر الحكيم ، وهذه المراعاة للمفسر شرط أساس في قراءة النص المقدس؛ لبيان دلالات الآيات ،وهو منهج صار يتبع عند المفسرين ، قال الطبرسي: ((وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها...))[٨٢] ، ومفهوم المكي والمدني ينطوي على معايير ثلاثة :

- المعيار الزماني والحد الفصل فيه هو هجرة الرسول –صلى الله عليه وآله–.
- المعيار المكاني والحد الفاصل ما نزل بمكة فهو مكي وما نزل بالمدينة فهو مدني.
- ومعيار المخاطبين من المكيين أوالمدنيين[٨٣].

ولعل الأقرب إلى دلالة النص هو أن ما نزل قبل الهجرة هو مكي –بغض النظر عن مكانها–، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني – بغض النظر عن المخاطبين–، ليمكن تحديد الدلالة القصدية للنص.

ومن تلك الظروف التي أضحت علوماً أسباب نزول الآيات، لبيان وقائعها ومقصد الآية كي لا تفهم بغير وجهها المراد، ومن ذلك –مثلاً– قوله تعالى : وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [البقرة : ١٩٥] ، فقد روي ((أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدوّ فصاح به الناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية ، وإنما أنزلت فينا ، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه . وشهدنا معه المشاهد ، وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا ، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها ، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها . فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد))[٨٤].

وقد ذكر هذا العلم أبو حيان في الوجه الرابع من العلوم التي يحتاج إليها المفسر[٨٥]، وذلك لارتباط الدلالة به من إطلاق وتقييد وتحديد لعام وخاص، ويؤخذ من العلماء فيما رووه من مصنفات وحديثهم ، شريطة ألا يُتقيد بخصوص السبب؛ لأن العبرة بعموم اللفظ[٨٦]، ويُستأنس بأسباب النزول على أنها قرائن تعين على الفهم ((لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص ، وقد جرت عادة القرآن أن ينزل أحكامه وتعليماته وإرشاداته عل أثر وقائع وأحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكماً وتعليماً من الله ، لكي يجيء

البيان القرآني أبلغ تأثيراً وأشد أهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عاماً شاملاً))[٨٧]، فضلاً عن أن القرآن الكريم كان يوضح في أثناء نزوله موقف الإسلام مما يقع من أحداث فيضع لها الحلول الملائمة بإجابات صريحة عما قد يُثار من أسئلة.

ومن العلوم الأخرى التي لا يستغني عنها المفسر الناسخ والمنسوخ في توجيه الدلالة، والمراد بالنسخ ((هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع، وهذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التلاوة فقط))[٨٨] ، وهو من الظروف التي تحيط بالنص وعلى المفسر الاطلاع عليها فبدونها لا يتمكن من بيان الدلالة المرادة في قصد الشارع المقدس، وورد منه قسمان ، الأول: ((إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنة المتواترة، أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم (عليه السلام) وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلا ونقلا، ... [والثاني] إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بآية أخرى منه ناظرة إلى الحكم المنسوخ، ومبينة لرفعه))[٨٩] ، ففي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [المجادلة : ١٢].فقد ذهب أكثر العلماء إلى نسخها بقوله تعالى:{ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المجادلة : ١٣]}، وقد ذكر العلماء[٩٠] الكثير من الآيات التي ظن المفسرون أن فيها نسخاً، والمسألة بها حاجة إلى تأمل.

(٣-٢)

ونجد المقدمة التفسيرية قد استعانت بعلوم يمكن أن نصنفها على أنها علوم من داخل النص المفسَّر تعين على تحديد المبهم وتوضيح المجمل ، ومنها : علم أصول الفقه، قال أبو حيان في الوجه الرابع من العلوم التي يحتاج إليها المفسر: ((تعيين مبهم ، وتبيين مجمل، ... [وفي] الوجه الخامس : معرفة الإجمال والتبيين ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا ، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن ، ويؤخذ من أصول الفقه ، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة ، إذ هو شيء يتكلم فيه على أوضاع العرب ، ولكن تكلم فيه غير اللغويين أو النحويين ومزجوه بأشياء من حجج العقول))[٩١]؛ لأن المراد بعلم أصول الفقه:((القواعد التي يبتني عليها استنباط الأحكام الفقهية))[٩٢] ، كدلالة الأمر مثلاً تدل على الوجوب إذا تجرد عن القرائن الصارفة على وفق القاعدة الأصولية، قال الطبرسي:

((وإذا كان ظاهر القرآن طبقا لمعناه، فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه، ويعلم مراد الله به قطعا، هذا إذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج إلى بيان، ولا محتمل لمعنيين، أو معان...))[٩٣]، وأما ما كان مجملا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا، مثل قوله سبحانه (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ [البقرة : ٤٣])، فإنه يحتاج فيه إلى بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فيبين تفصيل الصلوات، وأعداد الركعات، ومقادير النصب في الزكاة، ((والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه))[٩٤] ؛ لأن الأصولي يعمد إلى دراسة اللغة القرآنية فيسعى إلى الوقوف على المعنى الذي هو المآل و النتيجة والقصد ، والمعنى يمثل العلاقة بين اللفظ والمدلول، أو عدة ألفاظ لمدلول واحد، ونجد أنهم قد درسوا تلك العلاقة(الدلالة) من جهتين –بحسب نظرتهم إلى أن الذكر الحكيم (كلام)إلهي بلغة عربية– وهما : دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فالمراد من دلالة المنطوق: ((المعنى الذي يفهم من اللفظ بالمطابقة أو بالقرينة))[٩٥]، وقد قسمت على ما يدل على تمام المعنى وهي الدلالة بالعبارة ، والدلالة غير الصريحة على لازم المعنى التي قسمت هي الأخرى على: ما كان مقصوداً باللفظ بدلالة الاقتضاء ، ودلالة التنبيه والإيماء ، والدلالة غير المقصودة باللفظ بدلالة الإشارة[٩٦] ، وهذه الدلالة المراد منها ما يفهم من أصل الوضع اللغوي من غير الاعتماد على ظروف أخرى غير لغوية ، وأما الدلالة الأخرى فهي الدلالة التي تفهم من الظروف المحيطة بالنص وتضافرها مع الدلالة اللغوية ، وهي دلالة حكم غير المذكور وحكم ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق وتقسم على دلالة موافقة وتسمى (فحوى الخطاب) ودلالة مخالفة وتشتمل على المخالفة بالقلب أو بالوصف أو بالشرط أو بالغاية أو بالعدد[٩٧]، ويبدو لي أن أغلب الدلالات التي ذكرها الأصوليون تنضوي تحت هذين القسمين مع اختلاف المصطلحات التي استُعملت لذلك، فدلالات الإجمال والإبهام والعموم والإطلاق يمكن أن تفهم منطوقاً ودلالات التخصيص والتبيين والتقييد تفهم مفهوماً؛ لأن السياق هو الذي يحدد المراد منها فأما((دلالة السياق فإنها ترشد الى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن اهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته))[٩٨]، ومهما يكن من شيء فإن المراد من هذه الدلالات أن تكون أداة بيد المفسر تمكنه من تفسير النص القرآني تفسيراً صحيحاً كي لا يقع في مهاوي الزلل ولا سيما أن هذه تمثل الأداة التي يعرف منها حلال القرآن وحرامه مع اختلاف وجهة كل من المفسر والأصولي في الهدف وفي الغاية التي يُطمح إليها ، وتبقى تلك الأداة هي الأسلم لتحديد المبتغى.

ومن العلوم الأخرى التي تعين المفسر على البيان والكشف من داخل النص المفسَّر القراءات القرآنية ، وقد ذكرت في المقدمة التفسيرية بوصفها فناً يشترط الاطلاع عليه، ليكون مدخلاً للتفسير ، قال الطبرسي: (([الفن الثاني]: في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار))[٩٩]، وعدَّه أبو حيان من العلوم التي يحتاج إليها المفسر فذكرها في الوجه السابع ووصفها بـ((اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ، أو تغيير حركة أو إتيان

بلفظ بدل لفظ ، وذلك بتواتر وآحاد ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن))[100]، واشترط لقبول القراءة أن تتوافر على عدة شروط مجتمعة ، قال ابن الجزري: ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها)) [101] ، ومما يُلحظ في هذه القراءات أنها غير متواترة عن النبي الأكرم –صلى الله عليه وآله–، بل إن تواترها عن القراء أنفسهم فنسبت إليهم لاجتهادهم فيها[102]، ومع ذلك فإنها تمثل واقعاً لغوياً حقيقياً لا يمكن أن ينكر بأي وجه من الأوجه، فنجد الطبرسي في مقدمة تفسيره يقول: ((أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة، والشائع في أخبارهم أن القرآن نزل بحرف واحد))[103] ، فضلاً عن أن أثرها لا يمكن أن ينكر في الدراسات النحوية واللغوية[104]، مع ما قد يثار على أصحاب القراءات وممن ألفوا في هذا الفن في أنهم قد لا يلتزمون بتلك المعايير التي وضعت لقبول القراءة أو ردها ، أو ينكرون على القراء أنفسهم الخروج عن قواعد العربية، وهذا ما يلحظ لمن تصفح معاني القرآن للفراء، والذي يشار إليه –هنا–ظاهرة الاستبدال الحركي في القراءات القرآنية التي تعد ملمحاً استبدالياً في طريقة الاختيار الأسلوبي، فيختلف المعنى لاختلاف البنية وهو ما يُعد شاهداً على اختلاف المعنى لاختلاف الظروف التي تحيط بالنص فتوجهه على وفق هذا المنحى.

(٣-٣)

إن نظرية تفسير النصوص(الهرمنيوطيقا) التي شاعت في الدراسات النقدية المعاصرة كان الأساس فيها تفسير النص الديني غير الإسلامي ، لأن ذلك النص مع قدمه فإنه قد قطع عن جذوره ، ولم تحدد مبرراته وتوجيهاته حتى وسم في التوراة على أن ما جاء فيه رموز بها حاجة لفكها وإعادة صياغتها من جديد، فضلاً عن اختلاف اللغتين : لغة الكتابة ولغة التفسير، فكان للفكر(الايديولوجي) نصيب في تفسير النصوص التي لم يخلو المفسر من توجيهها على الوجه الذي يجده ملائماً للغرض الذي يقرأ النص فيه ، وعليه فإن الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)[105] ، في حين أن التفسير علم له معاييره وشروطه وأسسه، يرتبط بالفرد المسلم ، فهو دائم بدوامه، ويمكن القول أن القضية ترتبط بين النظر إلى (القرآن الكريم) والنظر إلى (الكتاب المقدس)، أكثر مما ترتبط بين المصطلحين نفسيهما، فالتفسير حياة متجددة ، وعلم مقنن، يرتبط بكتاب قال فيه البارئ –عز وجل– إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : ٩]، على خلاف من جاء متأخرا ليقدم نظرية في تفسير النص ، تدفع سوء الفهم الذي قد يحصل[106]، وثمة

مسألة جديرة بالاهتمام والعناية ، مفادها أن الظروف التي تحيط بالنص القرآني ، قد دُونت وسجلت في مؤلفات متعددة ، ثم بدأت مرحلة جديدة وهي تنقية ما دُوِّن، وهذا مما نفتقده في النص الديني الآخر، فلا نكاد نحظى منه بتأريخيته ، وهذا ما أفقده دوامه وأصالته ((وكلما تقدم النص في الزمن صار غامضاً بالنسبة لنا ، وصرنا – من ثم– أقرب إلى سوء الفهم لا الفهم))[١٠٧]، فضلاً عن أن ثمة سبباً أساساً دعا إلى إعادة القراءة (أو تأويلهما) في الهرمنيوطيقا في النص التوراتي أو الإنجيلي وهو : أن ما وصل إلينا من هذين الكتابين لا ينسجم مع الاكتشافات العلمية الحديثة بل يتعارض –في غالب الأحيان– معها ككروية الأرض وغيرها من المسائل العلمية ، ومن ذلك أيضاً في نظرية تفسير النصوص الدينية الأخرى حدوث النزاعات الدينية في أوربا التي أدت إلى صراعات بين البروتستانتية والكاثوليكية[١٠٨] وحروب دامت سنوات فقدم كل منهما تفسير للنص الديني يخالف الآخر، وهذا كله ما لا نجدة في الذكر الحكيم بل نجد أن المفسر اللغوي للنص القرآني قد اعتمد على طريقة في تفسيره وتوجيهه ، كان لها منهجها الخاص الذي جعله ينماز به من غيره من مناهج المفسرين الآخرين واتجاهاتهم التفسيرية.

خاتمة البحث:

تمخض البحث عن : أن ثمة نظرية في التفسير القرآني على وفق المنهج اللغوي يمكن تسميتها بـ(**نظرية الخطاب القرآني**)، لها في المقدمة التفسيرية اللغوية بنيتان ، بنية ظاهرية تحليلية: تعتمد علم العربية في عربية النص ، وشروط التفكير الإسلامي، والأدوات والمفاهيم التحليلية في المستويات اللغوية، وبنية عميقة تركيبية تتخذ من قضية الإعجاز القرآني هدفاً لها، وتعتمد إثبات النبوة، وبيان مقاصد الشريعة الإسلامية ، فضلاً عن منهجية في تحديد الإعجاز البياني، تستند في التفسير إلى ظروف تحيط بالنص القرآني يُفسَّر النص من خلالها قد دُونت وسجلت في مؤلفات عديدة، ثم بدأت مرحلة جديدة ، وهي تنقية ما دُوِّن، وهذا مما نفتقده في النص الديني الآخر، فلا نكاد نحظى منه بتأريخيته.

الهوامش

[١] **وينظر : طه :١١٣، فصلت : ٣، الشورى : ٧، الزخرف : ٣.**

[٢] **معاني القرآن / النحاس : ٢٣/١،وينظر : تفسير البحر المحيط: ١١٨/١، الإتقان في علوم القرآن : ١/ ٣٠٣،**
٤٦٥/٢، المستدرك على الصحيحين : ٢/ ٤٧٧، مصنف أبي يعلى : ١١/ ٤٣٦.

[٣] **تفسير البحر المحيط: ١١٨/١، وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٠/١.**

[٤] **معاني القرآن / النحاس : ٤٢/١، وينظر : الإتقان في علوم القرآن :٢/ ٤٦٥، و((الهَذُّ سُرْعَةُ القَطْعِ سرعة القِرَاءَةِ**
وقد هَذَّ القُرآنَ يَهُذُّه هَذًّا ياقل هو يَهُذُّ القُرآنَ هَذًّا إِذا أَسرع فيه وتابَعَه وهو مَجازٌ وكذَا هَذَّ الحَدِيثَ إِذا

سَرَدَه وفي
حديث ابنِ عبَّاس (قال له رجل قَرَأْتُ المُفَصَّل الليلةَ فقال أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ) أَراد أَتَهُذُّ القُرْآنَ هَذًّا فتُسْرِع فيه كما
تُسْرِع في قِرَاءَةِ الشِّعْرِ)) تاج العروس : ٤٩٨/٩.
[٥] معاني القرآن / النحاس : ٤٢/١.
[٦] مجاز القرآن : ١٥.
[٧] تفسير البحر المحيط: ١١٨/١، وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٠/١.
[٨] الخصائص : ٣٤/١.
[٩] نفسه.
[١٠] الكشاف: ٤١/١.
[١١] مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٨/١.
[١٢] مفردات ألفاظ القرآن : ٥٣.
[١٣] بحوث في علوم القرآن : ١٥٢.
[١٤] الكشاف : ٤١/١.
[١٥] تفسير البيضاوي: ٧/١.
[١٦] البيان في إعجاز القرآن : ٥٧.
[١٧] ينظر : نفسه.
[١٨] في ظلال القرآن : ٤٨/١.
[١٩] الكشاف : ١/ ٤٣ ، وينظر : تفسير البحر المحيط: ١١١/١.
[٢٠] ينظر : البيان في إعجاز القرآن : ٧١.
[٢١] التصوير الفني في القرآن: ١٧.
[٢٢] نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز : ٣٣.
[٢٣] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن :١١٠.
[٢٤] البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٩٤.
[٢٥] ينظر : بحوث في علوم القرآن : ٢٦-٢٨.
[٢٦] ينظر : نفسه:٢٦.
[٢٧] الخصائص : ٣٣/١.
[٢٨] اللغة العربية معناها ومبناها : ٤١ .
[٢٩] ينظر : مجمع البيان :٣٨/١ ، وإملاء ما من به الرحمن : ٣/١، وتفسير البيضاوي : ١٠/١، وتفسير البحر
المحيط: ١١٨/١.
[٣٠] العين : ٧ / ٢٤٧، ولسان العرب : ٥ / ٥٥.
[٣١] معجم مقاييس اللغة : ٤ / ٥٠٤.
[٣٢] لسان العرب : ٥ / ٥٥.
[٣٣] ينظر : بحوث في علوم القرآن : ١٢٧-١٤٠.
[٣٤] القاموس المحيط :٣٣١/٣.
[٣٥] لسان العرب : ١١ / ٣٣.
[٣٦] معجم مقاييس اللغة : ١ / ١٥٨.

٣٧ لسان العرب : ١١/ ٣٢ .
٣٨ النهاية في غريب الحديث : ١/ ٨١، وينظر : تاج العروس : ٢٨/ ٣١
٣٩ الآية: ((هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ [الأعراف : ٥٣]))
٤٠ لسان العرب : ١١/ ٣٢ .
٤١ الصواعق المرسلة : ١٧٥/١.
٤٢ ديوان الأعشى :١/١.
٤٣ ينظر : بحوث في علوم القرآن : ١٤٠-١٤٢.
٤٤ تهذيب اللغة ١٣٦/٣.
٤٥ لسان العرب ١٠٦/١٥.
٤٦ النهاية في غريب الحديث:٣١٤/٣
٤٧ ينظر : لسان العرب ١٠٦/١٥.
٤٨ ينظر : علم اللغة العام :
٤٩ ينظر مجمع البيان : ٣٩/١.
٥٠ تفسير البحر المحيط: ١٠٩/١.
٥١ نفسه : ١٠٥/١.
٥٢ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٤.
٥٣ مجمع البيان : ٣١/١.
٥٤ تفسير البحر المحيط: ١٠٣/١.
٥٥ نفسه : ١٠٤/١.
٥٦ تفسير غريب القرآن : ٤.
٥٧ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٥.
٥٨ الكشاف ٤٣/١، وينظر : تفسير البحر المحيط: ١١١/١.
٥٩ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤١/١.
٦٠ ينظر : تفسير البحر المحيط: ١٠٠/١.
٦١ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤١/١.
٦٢ مجمع البيان : ٣١/١.
٦٣ الكشاف : ١/ ٤٣.
٦٤ تفسير البحر المحيط: ١/ ١٠١.
٦٥ تفسير البحر المحيط: ١١١/١، وينظر : الكشاف : ١/ ٤٣.
٦٦ تفسير البحر المحيط: ١٠٠/١.
٦٧ نفسه :١/ ١٠٤.
٦٨ تفسير البحر المحيط: ١١١/١، وينظر : الكشاف : ١/ ٤٣.
٦٩ ينظر : معاني القرآن /النحاس: ٤٣/١.
٧٠ نفسه : ٤١/١.

٧١ نفسه .
٧٢ إملاء ما من به الرحمن : ٣/١.
٧٣ مجاز القرآن :
٧٤ نفسه .
٧٥ تفسير البحر المحيط: ١١١/١، وينظر : الكشاف : ١/ ٤٣.
٧٦ مجمع البيان : ١/ ٣٩.
٧٧ الطراز : ١٢-١٣.
٧٨ مقالات في اللغة والأدب : ١٥٥/٢.
٧٩ الإيضاح : ٣٢٦.
٨٠ العالم هو الأستاذ الدكتور تمام حسان في : مقالات في اللغة والأدب : ١٥٦/٢.
٨١ ينظر : التفسير البياني :١٧/١.
٨٢ مجمع البيان: ٣١/١.
٨٣ ينظر : بحوث في علوم القرآن: ٧٥.
٨٤ الكشاف : ١/ ٢٦٤.
٨٥ ينظر : تفسير البحر المحيط: ١٠٧/١.
٨٦ ينظر التفسير البيان للقرآن الكريم :١٠/١.
٨٧ بحوث في علوم القرآن :٥٢.
٨٨ البيان في تفسير القرآن: ٢٧٦.
٨٩ نفسه : ٢٨٥.
٩٠ ينظر : نفسه: ٢٨٦-٣٦٧.
٩١ تفسير البحر المحيط : ١/ ١٠٧-١٠٨.
٩٢ مفتاح الوصول إلى علم الأصول : ٢٤/١.
٩٣ مجمع البيان : ٣٩/١.
٩٤ نفسه .
٩٥ محاضرات في أصول الفقه :٥٤/٥.
٩٦ ينظر : مفتاح الوصول إلى علم الأصول: ٣١٢/١-٣١٣، ودراسة المعنى عند الأصوليين:١٣.
٩٧ ينظر : مفتاح الوصول إلى علم الأصول: ٣١٤/١-٣١٥، ودلالة الألفاظ عند الأصوليين:١٦٢ و٢٦٩،
و٢٩٩،
والتصور اللغوي عند الأصوليين :١٤٠-١٥٨،
٩٨ البرهان في علوم القرآن : ٢٠٠/٢.
٩٩ مجمع البيان في تفسير القرآن :٣٤/١.
١٠٠ تفسير البحر المحيط: ١/ ١٠٨.
١٠١ النشر في القراءات العشر: ١ / ٩.
١٠٢ ينظر : البيان في تفسير القرآن :١٥٠.
١٠٣ مجمع البيان في تفسير القرآن :٣٦/١.
١٠٤ ينظر : القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية :١٠٥-٢٣١.
١٠٥ ينظر : إشكالية القراءة وآليات التأويل: ١٣.

[١٠٦] **ينظر : نفسه: ٢٠.**
[١٠٧] **نفسه.**
[١٠٨] **ينظر : تعدد القراءات : ١٣-١٧.**

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب ، دار الفكر ، الطبعة: الأولى، لبنان : ١٩٩٦م.
- إشكالية القراءة وآليات التأويل : د. نصر حامد أبو زيد ، ط ٤ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء : ١٩٩٦ .
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض ، المكتبة العلمية- لاهور – باكستان.
- الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني ، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي ، الطبعة: الرابعة ، دار إحياء العلوم - بيروت : ١٩٩٨م.
- تعدد القراءات : محمد تقي مصباح اليزدي ، ترجمة ماجد الخاقاني، مؤسسة مسلم بن عقيل (ع) ، النجف الأشرف.
- تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت :٢٠٠١م،
- بحوث في علوم القرآن : الأمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، سلسلة كتب دورية تصدر عن مجمع الثقلين العلمي، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - بيروت :١٣٩١.
- البيان في إعجاز القرآن : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، (ط ١) ، دار عمّار ، الأردن: ١٩٨٩م.
- البيان في تفسير القرآن للإمام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي الطبعة الرابعة دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان : ١٩٧٥ م
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
- التصوير الفني في القرآن : لسيد قطب ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل :لناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)،ط١،دار الفكر ،بيروت لبنان.
- التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة عبد الرحمن ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر : ١٩٦٦.
- تفسير غريب القرآن: لأبي عبد الله بن مسلم بن فتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، تح: السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، (د ط) ، بيروت :٢٠٠٧م.
- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تحقيق: محمد عوض مرعب ، الطبعة: الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ٢٠٠١م.
- التصور اللغوي عند الأصوليين : د. أحمد عبد الغفار ، دار المعرفة ، ط ١ ، دار الجامعة الإسكندرية : ١٩٨١ .

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للرماني والخطابي والجرجاني ، تح : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر : ١٩٦٨.
- الخصائص :صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)،تح :محمد علي النجار ، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد:١٩٩٠م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين:د. طاهر سلمان حمودة،(د.ط)،الدار الجامعية الإسكندرية : ١٩٨٣.
- دلالة الألفاظ عند الأصوليين: د.محمد توفيق محمد سعد، ط١، مطبعة الأمانة ، مصر : ١٤٠٧هـ.
- ديوان الأعشى الكبير : ميمون بن قيس (ت ٧هـ) ، شرح وتعلق: م. محمد حسين ، المطبعة النموذجية، مكتبة الآداب ، بالجماميزت : ١٩٥٠م.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، الطبعة: الثالثة، دار العاصمة ، الرياض : ١٩٩٨.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٠٥هـ)، تح : د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، صيدا ، بيروت:٢٠٠٢م.
- علم اللغة العام :فردينان دي سوسير ،ترجمة :د.يوئيل يوسف عزيز،مراجعة :د.مالك المطلبي ،دار الكتب للطباعة والنشر ،بيت الموصل –جامعة الموصل :١٩٨٨.
- العين [كتاب] : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح :د.مهدي المخزومي ،ود.إبراهيم السامرائي ،ط١،دار الهجرة ،قم –إيران :١٤٠٥هـ.
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط ١٥ ، دار الشروق ،القاهرة : ١٩٨٨.
- القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، دار الجبل (د .ط)، المؤسسة العربية للطباعة ،بيروت –لبنان(د.ت).
- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية: د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، بيروت : ١٩٩٦.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة: الأولى دار صادر - بيروت،
- اللغة العربية معناها ومبناها :د.تمام حسان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط، مصر: ١٩٧٣.
- مجاز القرآن :لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١١هـ) ، تح : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، لبنان: ٢٠٠٦م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن :لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،(ط ١)، بيروت –لبنان : ١٩٩٧.
- محاضرات في أصول الفقه تقرير أبحاث الأستاذ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره . تأليف العلامة الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد الطبعة: الاولى دار الكتب العلمية ، لبنان : ١٩٩٣م،

- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، الطبعة: الثانية ، دار الجيل - بيروت - لبنان : ١٩٩٩م.
- مفتاح الوصول إلى علم الأصول : أحمد كاظم البهادلي ، الطبعة الأولى ، شركة حسام للطباعة الفنية المحدودة ، بغداد :١٩٩٤.
- مفردات ألفاظ القرآن :الراغب الأصفهاني (ت حدود ٤٢٥هـ)، تح :صفوان عدنان داودي ،(ط ١) دار العلم –دمشق ،دار الشامية بيروت:١٩٩٦.
- مقالات في اللغة والأدب : د.تمام حسان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة : ٢٠٠٦.
- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، أشرف على تصحيحه ومراجعته : علي محمد الضباع - شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، تح : د.إبراهيم السامرائي ود.محمد بركات أبو علي ، دار الفكر ، عمان : ١٩٨٥.
- النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، تح : طاهر أحمد العزاوي ومحمود محمد الطناحي ، ط ٤ ، مؤسسة إسماعيليان ، قم : ١٣٦٤ش.

Explanation introduction in linguistic approach in Holy Koran
Analytical Study

Abstract:

The Arabic library consist of a lot of books for Koran explanation belongs to different ages and many approaches, we find differences in opinions and directions in the text and differences in many situations as (provision verses and belief verses and others), these differences are not in the text but caused by the explainers, this can be called different in reading which led to multi readings, one of these readings: Holy Koran read according to linguistic approach in explanation, text here is a speech lean on many criterions, like: state the Arabic of Holy Koran in reference to Arab language in Koran explanation; that the base that lean to discover the purpose meaning is (miraculous nature of Koran), the explainer should observe this case; because the explainer should study Koran and explain it according to Islam thinking, in another way we find that the explainer regard the Holy Koran as meaningful speech, then three directions has been show up: (explainer direction), (interpretation direction) and (meaning direction: direction of task sign), it is

conditioned that the explainer must know tongue science which consist of two sciences: linguistic science and syntax science, in linguistic science actualize two purposes, first: understanding the relation that connecting indicative with meaning in mental picture, so explainers indicate to refer to the dictionaries to have the ability that help them in explanation in Arabic language out of Holy Koran, this can be achieved by examination the Arab tongue in all sciences, syntax is the basic of examination, this level is not enough it has to get the ability to show opinion in text, the explanation introduction has based on separating between (knowledge) and (understanding), it has to choose means for explainer in direction and discovering the Koran meaning called (rhetorical approach) in linguistic explanation introduction, to achieve his point it has to have means tha help to locate the discovered text indication: sciences out of text that help to explain it like reason of inspiration, meky, medany, copier and copied, and sciences inside text like Koran readings: philology that take the studied meaning from two sides: pronounced indication and concept indication, the ideological thought face the hermeneoteka ancient term which is used in theological study that refer to the rules the explainer should follow to understand the religious text (Holy Book), the explanation has conditions and basis connected with Muslim, we can say that the case between looking at (Holy Koran) and (Holy Book).